

لا يسوغ للرجل أن يفقد خُلُقَه مع من لا خُلُقَ له وأن يشغل نفسه بتأديب كل جهول

شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه

■ تحريم الجدل

وسد أبوابه حقاً كان

أوباطلاً من الضمانات

التي اتخذها الإسلام

لصيانة الكلام عن

النزق والهوى

■ هناك أناس أوتوا

بسطة في أسنتهم

تغريهم بالاشتباك

مع العالم والجاهل

فإذا سلطوا على

شؤون الناس أسأؤوا

وعلى حقائق الدين

شوّهوها



وسلم.. فقال ابوبكر: أوجدت علي يا رسول الله؟ قال: لا، ولكن نزل ملك من السماء يكتبه بما قال، فلما انتصرت، ذهب الملك، وقعد الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ قعد الشيطان.. أو كما قال صلى الله عليه وسلم ومدارة السفهاء لا تغني قبول الدين، فالفرق بين الحاليين بعيداً الأولى ضبط النفس أمام عوامل الاستفزاز، ومنعها طوعاً أو كرها من أن تستجيبها لدواعي الغضب وإدراك النار، أما الأخرى فهي بلادة النفس، واستكانتها إلى الهوى؛ وقبولها ما لا يرضى به ذو عقل أو مروءة. وقد أعلن القرآن محبته مداراة السفهاء وكراهيته لقبول الدنيا: «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً، إن تبدأوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً».

ومن الضمانات التي اتخذها الإسلام لصيانة الكلام عن النزق والهوى تحريم الجدل! وسدّه لأبوابه، حقاً كان أو باطلاً، ذلك أن هناك أحوالاً تستدب بالنفس، وتغري بالمغالبة، وتجعل للراء يناوش غيرة بالحديث، ويصدب الشبهات التي تدعج جانبها، والعبارات التي تروج حججته، فيكون حب الانتصار عنده أهم من إظهار الحق، وتبرز طبائع العناد والأثرة في صور متكررة، لا يبقى معها مكان للتيقن أو طمأنينة!! والإسلام يفر من هذه الأحوال ويعتدّها خطراً على الدين والفضيلة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ترك لمرء وهو مطبل بني له بيت في ريش الجنة، ومن تركه وهو محق بني له في وسطها، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها».

وهناك أناس أوتوا بسطة في السننهم، تغريهم بالاشتباك

وقف رجل من الجاهل أمام بيت الرسول يريد الدخول، فرأى النبي أن يحاسنه حتى صرفه، ولم يكن من ذلك بد فالحلم فدام السفيه ولو تركه يسكب ما في طبيعته اللفلة لسمع ما تنتزه عنه أذناه!! وعن عائشة قالت: استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ييش أخو العشيرة هو» فلما دخل انبسط إليه وألان له القول فلما خرج قلت: يا رسول الله، حين سمعت الرجل قلت كذا وكذا، ثم نطقت في وجهه وانبسطت إليه؟ فقال: يا عائشة مني عهديني فأحشأ! إن من شر الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة، من تركه الناس اتقاء فحشه، وهذا مسلك تشبّيه التجارب، فإن الرجل لا يسوغ أن يفقد خلقه مع من لا خلقَ له، ولو أنه شغل بتأديب كل جهول بلباق لأعنته الجدل من كثرة ما سوف يلقي، ولذلك عد القرآن الكريم في أوائل الصفات التي يتحلى بها عباد الرحمن، هذه المداراة العاصية: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً»، «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نمتلي الجاهلين»، وقد يكلم الإنسان غيظه مرة أو مرتين ثم ينفجر.

بيد أن المطلوب من لتسلم الفاضل، أن يباطل الآتي أكثر من ذلك حتى لا يدع الشر يسيطر على الموقف آخر الأمر، عن سعيد بن المسيب قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه وقع رجل بابي بكر، فأنه، فصمت عنه ابوبكر، ثم أذاه الثانية فصمت عنه، ثم أذاه الثالثة فرد عليه ابوبكر، فأنصرف فقال رسول الله صلى الله عليه

اجمع المشركون على محاربة الدعوة التي عزّت وأفهم الجاهلي، وعابت آلتهم وسفهت أحلامهم، أي آراءهم وأفكارهم، وتصوراتهم عن الله والحياة والإنسان والكون، فاتخذوا العديد من الوسائل والمحاولات لإيقاف الدعوة وإسكات صوتها، أو تحجيمها وتحديد مجال انتشارها.

وكانت أولى محاولات قريش لمحاربة النبي (صلى الله عليه وسلم) هي محاولة إبعاد عمه أبو طالب عن نصرته حيث «جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد أذانا في ثأربنا ومسجدنا فائنه عنا، فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ثأديهم ومسجدهم، فائنه عن أذاهم، فخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بيصره إلى السماء فقال: «ترون هذه الشمس؟» قالوا: نعم، قال: «فما أنا بأقدر أن أزع ذلك منكم على أن تشعلوا منها بشعلة» وفي رواية: «والله ما أنا بأقدر أن أزع ما يعلت به من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من نار»، فقال أبو طالب: «والله ما كذب ابن أخي فقد، فأرجعوا راشدين»، وحاولت قريش مرات عديدة الضغط على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة عائلته ولكنها فشلت.

ذاع أمر حماية أبي طالب لابن أخيه، وتصميمه على مناصرتة وعدم خذلانه، فاشتد ذلك على قريش غمًا وحسدًا ومكرًا، فمشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: «يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد، أشد فتى في قريش، وأجملهم، فلك غلله ونصره، واتخذ ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفه أحمالنا، فنقتله فأنا هو رجل برجل» قال: «والله ليش ما تسوموني اتعطلوني ابتكم الغدو لكم وأعطيكم ابني فقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبدا».

وإن المرء ليسمع عجبًا، ويقف مذهولاً أمام مروءة أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ربط أبو طالب مصيره بمصير ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم، بل واستفاد من كونه زعيم بني هاشم أن ضم بني هاشم وبني المطلب إليه في حلف واحد على الحياة والموت، تأييداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلمهم ومشركهم على السواء، وأجار ابن أخيه محمدًا إجارة مفتوحة لا تقبل التردد أو الإحجام، كانت هذه الأعراف الجاهلية والتقاليد العربية تسخر من قبل النبي صلى الله عليه وسلم لخدمة الإسلام، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه، من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام بدوره، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله للعين.

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جهدهم معهم، وحديثهم عليه، جعل يمدحهم، ويذكر قديمهم، ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، ومكانه منهم لينشد لهم رأيهم، وليحيدوا معه على أمره فقال:

إذا اجتمعت يومًا قريش لفخر فجد مناف سرها وصيغتها وإن خصلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها وإن فخرت يوما فإن محمدا هو المصطفى من سر وكريهها

أساليب المشركين في محاربة دعوة الإسلام

محاولات قريش لإبعاد أبي طالب

عن حماية النبي صلى الله عليه وسلم

تداعت قريش غلها ولثمينا علينا فلم تغفر وطاشت حلومها وكنا قديما لا نفر ظلامه إذا ما كنوا صفّر الخدود نعيمها وحين حاول أبو جهل أن يخفر جوار أبي طالب تصدى له حمزة، فسلحه بقوسه، وقال له: تسلتم محمدا وأنا على دينه، فرد ذلك إن استطعت.

إنها ظاهرة فذة أن تقوم الجاهلية بحماية من يسب آلتها، ويعيب دينها، ويسفه أحلامها، وباسم هذه القيم يقدّمون المهج والأرواح، ويخوضون المعارك والحروب، و لا يمتسّ محمدا صلى الله عليه وسلم يسوء.

ولما خشى أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعود فيها بحرمة مكة، وبمكانته منها، وتود فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم في ذلك من شعره أنه غير مُسَلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تاركة لشيء أبدا حتى يهلك دونه فقال:

ولما رايت القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طأوعوا أمر العدو المزايل وقد قالوا لو ما علينا أفتة يعضون غنظًا خلفنا بالأنامل صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة وأبيض غضب من ترات المقاول وأخضرت عند البيت رحلي وإخوتي وأمسكت من أتوايه بالوصلات وتعوذ بالبيت وبكل المقدسات التي فيه، وأقسم بالبيت بأنه لن يسلم محمدا ولو سألت الدماء أنهارا واشتدت المعارك مع بطون قريش:

كذبتم وبيت الله نثرى محمدا ولما طاعن دونه ونضائل وئسلمه حتى نصرح حوله ونذل عن أبنائنا والحائل وينض قوم في الحديد البكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل وفزع زعماء بني عبد مناف باسمائهم لخذلائهم إياه، فطعته بن ربيعة يقول: فعتية لا تسع بنا قول كاشح حسود كذوب ميفض ذي دغاول ولأبي سفيان بن حرب يقول: ومز أبو سفيان عني معرضا فعتية لا تسع بنا قول كاشح كما تر قيل من عظام المقاول يفر إلى نجد ويرد مياهاه ويرزعم أني لست عنكم بغافل وللمطعم بن عدي سيد بني نوقل يقول: أمطعم لم أخذك في يوم نجدة ولا معظّم عند الأمور الجائل أمطعم إن القوم ساموك خطة وإني متى أوكل فست بواشل جزى الله عنا عيد شمس ونؤفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل

لقد كان كسب النبي صلى الله عليه وسلم عمة في صف الدفاع عنه، نصرا عظيما، وقد استفاد صلى الله عليه وسلم من العرف القبلي قتمتّع بحماية العشيرة، ومنع من أي اعتداء يقع عليه، وأعطى حرية التحرك والتفكير، وهذا يدل على فهم النبي صلى الله عليه وسلم للواقع الذي يتحرك فيه، وفي ذلك درس بالغ للدعاة إلى الله تعالى، للتعامل مع بيئتهم ومجتمعاتهم والاستفادة من القوانين والأعراف والتقاليد لخدمة دين الله.

من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم



وعليهم أجمعين الفضل الصلاة وأزكى السلام، مما لم يكن يعلم تقاصيله أحد من الناس في زمن الوحي.

ومنهم من رأى إعجاز القرآن الكريم في منهجه التربوي الفريد وأطره النفسية السامية والعلمية في نفس الوقت والناطقة على مر الأيام، أو في إثباته بالغيب مما تحقق بعد نزوله بسنوات طويلة، أو في إشارته إلى العديد من حقائق الكون وسنن الله فيه مما لم يكن ممكنا لأحد من البشر أن يصل إلى شيء من معرفته وقت نزول القرآن الكريم ولا لمئات السنين من بعد ذلك.

ومنهم من رأى إعجاز القرآن في صموده أمام كل محاولات التحريف التي قامت بها قوى الشر المتعددة متمثلة في الكفرة والمشركين والملاحدة المتنكسين على مدى الأربعة عشر قرنا الماضية وذلك لأن الله تعالى قد تعهد بحفظه بعهد الذي قطع – سبحانه وتعالى – على ذاته العلية ولم يقطعه لرسالة سابقة أبدا، وذلك بقوله العزيز: «أنا نَحْنُ نُزِّلُهَا الذِّكْرَ وَأَنَا لَهْ لَٰحَافُظُونَ» (الحجر:9). ومن العلماء من يرى إعجاز القرآن الكريم في ذلك كله وفي غيره مما يعصر الحديث عنه فهناك الإعجاز اللغوي، البياني، النظمي؛ والإعجاز العددي والتعدي والأخلاقي، والتشريعي، وهناك الإعجاز التاريخي، والتربوي، والنفسي، والاقتصادي، والآباري، والإعلامي، وهناك الإعجاز العلمي والتقني، والإعجاز العددي (الرقمي) الحسابي، وإعجاز التحدي الذي لم يجب ولن يجب إلى قيام الساعة، والإعجاز الحفظي، وغير ذلك كثير.